النهضة القصصية الحالية

كانت بلاغتنا العربية وما زالت تكاد تخلو من النوع القصصي اذا قيست بادبيات الأمم الافرنجية . وكان كتابنا حتى العهد الاخير من شعراء وناثرين مقلدين اكثر منهم مبتكرين فكانوا يسيرون على نظم السلف في الآراء والافكار والاوصاف فلم يأتوا بشيء جديد بل أضاعوا شخصياتهم وأفنوها بتهالكهم على القديم فحسب . لذلك لم نجد من كتابنا من قدم لنا رواية قصصية او أخرى تمثيلية او أقصوصة عصرية . بل كان همهم الوحيد ان يجيدوا فن التراسل على نمط الهمذاني والحريري اونظم القصائد باكين على الاطلال وهائمين بحب هند ودعد وواصفين النوق والرمال ثم مادحين اوهاجين . وربما وصف الشاعر العصري المهند والسمهري وصاح بلء فيه صياح أبطال الحماسة القدماء وهو لم ير السيف في حياته الا معلقاً في رداء الشرطي ! فجاءت بلاغتنا العصرية — الا القليل منها — سخيفة تثير الضحك لاالاعجاب . ومن منا لا يحزن ومنذ أواخر القرن الماضي ونحن لانملك من أدبنا العصري القصصي غير كتاب واحد هو « حديث عيسى بن هشام » . اذا أردنا ان نتحدث عن البلاغة القصصية الجديدة لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » واذا أوصينا احداً بقراءة كتاب قصصي جيد لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » . واذا افتخرنا بادبنا القصصي لم نجد الا « حديث عيسى ابن هشام » . حتى ضقنا ذرعاً به وضاق هو الآخر ذرعاً بنا . وودنا ان نسكت بدلاً من ان نتكلم عن كتاب واحد فقط . ولكن عزاءنا اليوم اننا بدأنا نرى بزوغ النهضة القصصية العصرية في أفق أدبنا . فاذا تعهدها القائمون بها بالعناية والرعاية والاتقان والجودة سارت سيرها الطبيعي بلاعائق وانتجت نتاجاً قوياً سيكون ميراث المستقبل من بلاغتنا القصصية الجديدة . وانا ذاكرون هنا من لم نخنا ذاكرتنا في ذكرهم من مؤلفينا الجدد الذين وهبوا الأدب العصري القصصي مبتكرات عقولهم . ولو كان المقام متسعاً أمامنا او كنا في موقف النقد لكنا أفسحنا للقلم مجالاً اكبر مما سنفسحه له الآن . ولكن عذرنا في ذلك واضح . فمقدمة كتاب قصصي لا تستطيع ان تحوي نقداً مسهباً تحليلياً لكتاب العصر وكتبهم لذلك نترك للنقاد ميدانهم يجولون

فيه ونقصر بحثنا هنا على ذكر مختصر للكتب القصصية التي ظهرت في عالم البلاغة العصرية والمؤلفين القصصيين الجدد الذين تصدوا للقيام بهذا العمل الجليل ·

حديث عيسى بن هشام لمحمد بك المويلحي

اول كتاب ظهر في الادب العصري القصصي جدير بان نضعه بلا محاباة في الصف الاول من مؤلفاتنا القصصية · اتبع صاحبه في تأليفه طريقة المقامات واستعان باسلوبها المسجع في كثير من مواضعه · لذلك لا نستطيع ان نسميه رواية قصصية بالمعنى المعروف عندنا الآن لخلوه من (الحادثة) او (العقدة) التي تمتاز بها القصص العصرية · ولكن هذا لا يقلل من قيمة الكتاب للدقة التي استعملها المؤلف في رسم الشخصيات وتحليلها ·

ليالي سطيح لحافظ بك ابراهيم

هذا الكتاب أقرب الى المقامات من حيث الأسلوب والطريقة من حديث عيسى بن هشام · بل يكاد يكون مقامة واحدة طويلة تتضمن نقداً على الأخلاق والعوائد المصرية · ليس فيه شخصيات بارزة مرسومة بريشة قصصية كما في حديث عيسى بن هشام لذلك فاق عليه الاخير في ميدان البلاغة القصصية المصرية وسبقه بمراحل كثيرة ·

قصة زينب لمصري فلاح (الدكتور حسين بك هيكل)

هي قصة عن حياة الارياف جديرة بان تسمى بحق اول رواية قصصية مصرية · راعى مؤلفها في صياغتها كل ما يتطلبه الفن القصصي الراقي فأتت قطعة تامة النضوج في بلاغتنا الحديثة · حوارها كله باللغة العامية وهي ميزة يجب ان نقررها بالحمد والشكر للمؤلف · أسلوبها بسيط وجميل خالٍ من التكلف والتعمل يحبب للانسان القراءة · ولكن مما يؤسف له ان صمت المؤلف صمتة نخشى ان تكون دائمة · ولعل قلة الرواج الذي صادفته القصة في عالم الأدب المادي والحالة السياسية التي طوحت بالمؤلف في لجتها اليوم كانتا من أهم الاسباب التي دعت الى هذا الصمت ·

(لا أذكر متى ظهرت هذه القصة بالتحقيق وربما كان ذلك حوالى عام ١٩١٢ والنسخة مع الأسف خالية من تاريخ الطبع ·

* * *

قصص جرجي زيدان التاريخية

لولم ينل الاستاذ جرجي زيدان شهرته الواسعة بكتبه العلمية التاريخية لكفته قصصه التاريخية برفعه الى هذا المستوى نفسه · ولكن قلة العناية بالبلاغة القصصية في العالم العربي عامة والمصري خاصة حدا بجمهور القراء ان لا يأبهوا كثيراً بهذه القصص النفيسة ·

وتسمى هذه القصص « سلسلة روايات تاريخ الاسلام » وعددها ثماني عشرة أتى فيها مؤلفها بتاريخ الامة الاسلامية في عصورها المختلفة في قالب قصصي مستحب · بدأها « بفتاة غسان » ثم « بأرمانوسة المصرية » وختمها « بشجرة الدر » وكتب غير هذه السلسلة اربع روايات أخرى عن تاريخ مصر في عهد المماليك وعن الحرب السودانية المهدية · وقد كتب من روايات السلسلة نفسها رواية عن الانقلاب العثماني في تركيا فكأنه استوفى تاريخ الاسلام ومصر جميعه قصصاً · وأسلوبه القصصي والعلمي على حد سواء سهل للغاية ومقبول · اما صوغ حوادث التاريخ بأسلوب قصصي فلا ريب في انه بلغ فيه شوطاً كبيراً من الاجادة والنبوغ · وحسبه ان معظم هذه القصص قد طبع للمرة الثانية والثالثة وترجم بعضها الى اللغات الاجنبية مثل الفرنسي ، والشرقية مثل الهندي والفارسي والتركي ·

نتائج الاحوال في الاقوال والافعال : لعائشة تيمور

منذ ثمانية وثلاثين سنة هجرية ظهر في عالم الأدب العصري كتاب قصصي للمنشئة الأديبة السيدة عائشة تيمور هو كتاب « نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال » · (السيدة عائشة تيمور الشاعرة المعروفة احدى أركان النهضة النسائية المصرية وتعتبر اول كاتبة وشاعرة مصرية في أواخر القرن الماضي » · ليست شهرة هذا الكتاب في جودته أسلوباً وطريقة ووضعاً بل في وقت ظهوره وفي الكاتبة التي ألفته · الكتاب يتضمن قصة واحدة على نمط قصص « الحواديث » المصرية بشكل ارقى وأجمل · وأسلوبه مسجع على الطريقة القديمة في العصر العربي المتأخر · ولكن ميزته ان مؤلفته سيدة شرقية مصرية وانه كتب في عصر كان فيه الاهتمام بالأدب والكتابة مقصوراً على الرجال دون النساء · أضف الى ذلك قلة الادباء من الرجال في ذلك العهد وكيف ان التيمورية بزت كثيراً منهم بشعرها ونثرها · واذا علمنا إهمال جمهور القراء والكتاب في هذا

العصر لفن القصص استطعنا ان نقدر للتيمورية مجهودها وجرأتها ونبوغها في ذلك الوقت الذي كان فيه ظلام الجهل يكاد يكون شاملاً الجميع ٠

اقاصيص المنفلوطي في النظرات والعبرات

اشتهر المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي «بنظراته» التي كان ينشرها في المؤيد كل اسبوع مرة والتي جمعها وزاد عليها مما لم ينشره فجاء سفراً في ثلاثة اجزاء جمع شتى المواضيع من انتقادية وأدبية واجتماعية وقصصية ٠ ثم نشر كتاب العبرات وهو مجموعة أقاصيص منها المصري المؤلف ومنها الاجنبي المقتبس والمترجم ٠ لذلك يمكننا ان نعتبر المنفلوطي كاتباً قصصياً عالج فن الأقاصيص المصرية ٠

كانت طريقة المنفلوطي في كل كتابته العناية بالأسلوب واللفظ اكثر من عنايته بجوهر الموضوع خصوصاً في قطعه القصصية المؤلفة ، وان كان هذا لا يمنعنا من ان نقدر له آراء قيمة في بعض قطعه الأدبية والاجتماعية وكذلك القصصية ٠ ولكننا نقدر له فوق كل شيء سلاسة أسلوبه وجماله ورقة ألفاظه ووضوح أغراضه مع محافظته على اللهجة العربية الصحيحة ٠ يمكننا ان نجاهر بلا خشية ولا لوم ان المنفلوطي وان كان قد أجاد في أسلوبه القصصي السلس الجميل فقد فشل في مواضيعه القصصية ورسم أشخاصه فيها ٠ فجل مواضيع اقاصيصه تافهة يصح ان نضيفها الى مجاميع الامثال والمواعظ ٠ اتبع في تأليفها طريقة المذهب «الرومانتيكي» المتطرف الذي يشوه فيه الخيال صور الحقائق الناصعة ٠ اما اشخاص قصصه فهي أشباح ليس لها كيان ولا جسم تكاد تتلاشى أمام عينك من شحوبها ٠

ما تراه العيون للمرحوم محمد تيمور

ليس رائدي في كل ما كتبته غير الاخلاص والحق لذلك ارجو ممن يقرأ كلمتي هذه عن تيمور الراحل فقيد ادبنا ومسرحنا ان لا يتهمني بالتحيز والمغالاة في القول لاتصالي التام به ٠ ان محمداً تيموراً شقيقي المحب اولاً ، وصديقي الوفي ثانياً ، واستاذي الكبير ثالثاً ، من اعترف له امام الناس جهاراً بالفضل التام علي في كل ما أوتيته وما سآتيه من مجهود لا اعلم مداه ولا نتيجته ٠ ولكن كل هذا ليس له تأثير على نفسي في موقفي هذا وانا اقرر الحقيقة التي لا ارغب في ان ازيد حرفاً واحداً عليها ٠ لذلك اقول بلا محاباة ولا غلو ان

تيمور الراحل كان اكبر مؤلف روائي وقصصي مصري وجد في نهضتنا القصصية الحديثة · انني وانا فرد من حاملي لوائه ، السائرين على طريقته ومذهبه ، المنفذين رغبته ، المتممين لمطامعه وآماله لا اعترف لقصصينا الذين عالجوا الكتابة في الادب المصري بالفضل الا بقدر اقترابهم وإجادتهم للمذهب الذي كان شعار الفقيد في كل ما كتب وهو العمل على ايجاد آداب مصرية بالمعنى الصحيح · فاذا قلت ان «المنفلوطي» فشل في اقاصيصه المصرية ذلك لانه لم ينجح في اخراج صور ناضجة واشخاص حية بارزة من البيئة المصرية · واذا قلت ان الدكتور «هيكل» قد اجاد في قصة «زينب» ذلك لانه نجح نجاحاً يغبط عليه في ايجاد جو مصري صادق اللون في روايته · واذا قلت ان محمداً تيموراً هو اكبر مؤلف قصصي وروائي وجد في نهضتنا الحديثة ذلك لانه قصر ميدانه على البيئة المصرية بأشخاصها وجوها وصورها واجاد في اخراج هذه الصور في رواياته التمثيلية واقاصيصه تامة النضوج من حيث جودة التأليف ودقة التصوير · والذي يهمنا من مؤلفاته — (ظهرت مؤلفات الفقيد في ثلاثة اجزاء وقد حوت كل ما كتبه من شعر ونثر واقاصيص وروايات تمثيلية) — في هذا المقام هو اقاصيصه المسماة «بما تراه العيون» · اشتهر عن الفقيد انه كان قوي الملاحظة الى حد بعيد ، تنطبع في ذهنه صور المرئيات بخاصة عجيبة ، ماهر في التقليد الى درجة من الاتقان كبيرة ، دقيق الوصف ماهر في صناعة التأليف ، له مذهب في الآداب لا يحيد عنه · قاصر كل مجهوده عليه وهذا المذهب كما اسلفنا الذكر هو العمل على «ايجاد آداب مصرية» تكون بمثابة مرآة تنعكس عليها بيئتنا · لذلك كتب اقاصيصه باتقان كبير ولا مشاحة في انه اليوم اجدر اهل عصره في تبوئي اسمى مركز في بلاغتنا القصصية كما يصح ان نسميه بحق اول منشئ مجيد لفن الاقاصيص المصرية ·

مؤلفون قصصيون آخرون

لقد ظهر في الوقت الحالي اي في البضع سنين الاخيرة بعد المرحوم محمد تيمور مؤلفون عالجوا فن كتابة الاقاصيص · وهم على قلتهم وقلة مؤلفاتهم يبشرون بمستقبل زاهر جميل · ولا ريب في ان بلاغتنا القصصية في المستقبل ستكون مدينة لهم بمجهودهم الصادق

في « العمل على ايجاد آداب مصرية بالمعنى الصحيح » ووضع اساس هذا الفن الجديد ·
ومن هؤلاء الادباء ممن لم تخنِ ذاكرتي في عدهم هم : المرحوم عبيد مؤلف كتابي « احسان هانم وثريا » وشحاته عبيد مؤلف كتاب « درس مؤلم » وابراهيم المصري وحسن محمود ومحمود عزمي وزكريا جزارين والدكتور حسين فوزي وطاهر لاشين وخيري سعيد وعبد القادر المازني وحسن صبحي وسليم شحاته (نشرنا الاسماء بحسب ظهور الاقاصيص مع حفظ الالقاب) وغيرهم من الادباء القصصيين العصريين الذين يتكاثرون كل يوم فيزيدون ثروتنا الادبية القصصية ·

وقبل ان نختم هذا الفصل نذكر اسمين اشتهرا في عالم الادب القصصي العربي وهما المرحوم فرح انطون والاديب نقولا حداد · الاول كتب رواية قصصية واحدة سماها « اورشليم الجديدة » وهي قصة شرقية عصرية نزعتها فلسفية اجتماعية · والثاني كتب عدداً عظيماً جداً من الاقاصيص والقصص المترجمة والمقتبسة والمؤلفة · ولكنه بعيد مثل رفيقه السالف عن نزعة « تمصير الآداب » اي خلق ادب مصري في بلاغتنا الجديدة لذلك انت جميع قصصه وليس عليها من طابع المصرية الا القليل النادر · وهو يعد بحق اكثر كتاب العربية القصصيين كتابة · كثيراً ما يعالج في قصصه نشر الافكار والآراء اجتماعية كانت اوسياسية · وهو مؤلف محبوب من جمهور الشرق العربي عامة · ومن رواياته القصصية الجديرة بالاعتبار « آدم الجديد وحواء الجديدة وجمعية اخوان العهد » ·

ويوجد غير هذين الاسمين اسمان مشهوران · اولهما الاستاذ العلامة الدكتور يعقوب صروف والاستاذ الفاضل مصطفى صادق الرافعي ·

الاول عالم معروف بعلمه في كافة الاقطار العربية ولكنه مع ذلك قد عالج فن الكتابة القصصية من زمن مضى فوضع ثلاث قصص مصرية، شرقية، عربية هي: « فتاة مصر وامير لبنان وفتاة الفيوم » · والثاني كتب ثلاثة كتب قصصية عربية هي : « المساكين ورسائل الاحزان والسحاب الاحمر » وروايات الدكتور صروف روايات شرقية اكثرها مصرية تصف « المجتمع » الذي كتب عنه المؤلف وصفاً مجيداً · اما كتب الرافعي فمشهورة بروعة أسلوبها العربي الصميم الذي لا يخلو في كثير من الأحيان من غموض ظاهر يصدم القارئ القصصي اثناء مطالعته · وهي كتب فلسفية اكثرها قصصية اهـ · الجزيرة : محمود تيمور